شموس الأزمنة

حزن الوطن، مجد الوطن..!؟

راشد فهد الراشد

■ في حالة الموت.. والموت قدر محتوم، يحتوينا الحزن، ويسكننا الألم، ويفتتنا الفقد، والنهايات، ومفردات العزاء، بحيث لم يعد في مقدورنا التوازن، والسيطرة على فعلنا، وسلوكنا، ومشاعرنا، وتطفى علينا كبشر حالة من اليتم والضياع، الأمر الذي يجعل الصمت سيد المواقف، والتأمل وقراءة الحدث نوعاً من ممارسة فهم المصيبة.

«أليمة إلى اللقاء،
وتصبحوا بخير.
وكل أنواع الوداع
مرة.
والموت مر،
وكل ما يسرق الإنسان،
من إنسان..»

الموت - هذه المرة - لم يسرق كائناً عادياً، والموت لم يفجعنا في شخص عادي نكون قادرين على تجاوز فقده، وألم رحيله مع الأيام.

الموت سرق رجلاً استثنائياً، وقائداً ملهماً، وزعيماً طبع حياتنا، وحياة الوطن بإنجازات ومكاسب التحديث التي نقلت الحياة والناس إلى قمم النمو والتنمية في شتى القطاعات، والصعد، ونقل وعي الناس، وثقافتهم من عصور الأمية والجهل والتخلف إلى فضاءات العلم، والعمل، والإنتاج، والعطاء منذ أن كان وزيراً للمعارف يحمل إيماناً قوياً بأن العلم والوعي والثقافة والتنوير هي مداميك بناء الإنسان، والوطن، والمجتمع. فوضع للتعليم استراتيجيات تختصر الزمن، وتتحدى الواقع المعاش في ميزانية المملكة الواسعة والشاسعة، وتحفز الإنسان السعودي إلى المجالات الرحبة، والآفاق الواسعة في التحصيل، والفهم، والاستيعاب، والتفكير، مؤمناً بأن الجهل هو داء الشعوب الأول، وأن قيمة الإنسان، والوطن لا تأتي إلا عبر زراعة حقول من الوعي في عقل المواطن، وانتشاله من الآفات والداءات والإحباطات والهزائم التي يخلفها الجهل.

فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - وجزاه عن الناس بقدر ما أعطى وأكثر - لم يكن زعيماً وقائداً يصنع السياسات الواعية فقط، بل كان أباً، وصديقاً، وأخاً لكل مواطن، قريباً من الهموم، ملماً بالهواجس، قارئاً للتحولات، والمستجدات، مواكباً بوعيه، وفكره لكل الأفكار والرؤى التي تسهم في صياغة مستقبلات الوطن، وصناعة واقع مميز له على صعد الاقتصاد، والثقافة، والتعليم، وشؤون الحياة.

فقدنا خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبدالعزيز.

فقدناه في ظروف صعبة وقاسية تمر بها الأمة العربية التي طالما حمل همومها، وأرّقته أوجاعها ومآسيها، وواجه بشجاعة الرجال، وهمم القادة العظام كل التحديات التي مرت في تاريخها المعاق، وجاهد من أجل استيعاب الخلافات، وتوحيد الصف، وتقريب وجهات النظر لصالح هذه الأمة، وإرثها، وتاريخها، وعزتها، ومناعتها.

وإذا كانت قنوات البث الفضائي في تليفزيونات العالم قد نقلت صورة المواطنين، وهم يحملون أوجاعهم، وحزنهم، ويحبسون دمعاً أحرق أعينهم، يتوافدون للعزاء لحاملي الشعلة الملك عبدالله بن عبدالعزيز، والأمير سلطان بن عبدالعزيز، وأبناء عبدالعزيز، فإن هؤلاء الناس، كل الناس يحملون مع الحزن تفاؤلاً، ويسكنهم مع الألم أمل مقرب بأن يندمل الجرح، ويسكت نحيب الآلام، وتشرق روح الأمل، فالقيادة استمرار، والشعلة المتوهجة لن تنطفئ - بإذن الله -.

إن عزاء الشعب في صلابة وقوة وإيمان الفارس العربي الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وفي ثقافة ووعي وإخلاص الأمير سلطان بن عبدالعزيز فهما قادران على صنع واقع يفتح له التاريخ العربي المعاق صفحات من النور، والمجد.

«ونظل .. رغم الداء.. رغم الموت.. نفرح بالوجود
ونظل.. رغم الداء.. رغم الموت.. نحلم بالخلود..»

rashed@alriyadh.com

نثار

عابد خزندار

استراتيجية لمحاربة الفقر

■ وفقاً لما نشرته الصحف فقد تم أمس الإعلان عن الانتهاء من إعداد الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر في المملكة والتي وجه بإعدادها الملك عبدالله قبل ثلاث سنين تقريباً، وكما قال عدد من الاقتصاديين فإن معالجة الفقر ترتبط بإنهاء مشكلة البطالة التي تعد القضية الأساسية التي تواجه المملكة، ومعالجة البطالة تقتضي تحقيق أمرين أولهما أن يكون معدل النمو الاقتصادي أعلى بكثير من معدل نمو السكان، ولكي نشرح هذه المسألة فإن الولايات المتحدة أصبحت أغنى دولة في العالم لأنها كما يقول Jeffrey Sach مؤلف كتاب The End of Poverty حافظت على معدل نمو اقتصادي ثابت قدره ١,٧٪ من عام ١٨٢٠ حتى عام ١٩٩٨م في حين انه لم يكن هناك أي عدد كاف من السكان مما جعلها تفتح باب الهجرة كما هو معروف، هذا في حين أن المملكة التي تعتمد على مورد واحد هو البترول عانت منذ عام ١٩٨٢م وحتى عام ٢٠٠٣م من نسبة نمو اقتصادي سالبة في حين أن نسبة زيادة السكان ظلت طيلة هذه المدة في حدود ٢,٥٪، ولهذا ولكي نحل مشكلة الفقر يجب أن نحقق نسبة نمو اقتصادي لاتقل عن ٧٪ للعشرة الأعوام القادمة مع الحفاظ على نسبة نمو سكان أقل من ٢٪ وهذا بالطبع يقتضي تنويع مصادر الدخل كما فعلت دبي التي وصلت نسبة النمو الاقتصادي فيها هذا العام إلى ٩٪، وثاني هذين الأمرين أن لدينا عمالة أجنبية رخيصة تقف عقبة دون تشغيل السعوديين، ولهذا يجب قصر هذه العمالة على الأعمال التي لا يزاولها السعوديون كالخدمة في المنازل، وعدا ذلك يجب عدم تعيين أي وافد في عمل يمكن أن يقوم به سعودي، ويجب ألا نخجل من ذلك ففرنسا لا تسمح بإعطاء إقامة لأي أجنبي إلا إذا كان يقوم بعمل لا يستطيع الفرنسي أن يقوم به لا سيما وأن فرنسا تطبق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يمنع التمييز في الأجر على أساس الجنس أو العرق، وسنرغم على ذلك في السعودية عندما ننضم إلى منظمة التجارة العالمية، والواجب أن تسعى لجنة حقوق الإنسان عندنا على تحقيق ذلك قبل أن نرغم عليه وبذلك لن تكون هناك عمالة رخيصة تغري أصحاب الأعمال باستخدامها بدلاً من السعوديين، وإذا تحقق هذان الأمران فإننا سنقضي إن شاء الله على الفقر.

abidkhazindar@alriyadh.com

محمد أسد لم يتجاوز الثانوية (٢)

إبراهيم البليهي

وكان مستعداً دائماً للمهمات الخطيرة فحين انشقَّ فيصل الدويش ومن معه فيما عُرف بتمرد (الأخوان) على الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وأراد الملك معرفة مصادر التمويل التي تَحْشد الناس حولهم لم يتردد محمد أسد أن يخاطر عام ١٩٢٩م وأن يجتاز على بعير مناطق المنشقين ليصل إلى الكويت فيكتشف صناديق الذهب التي تأتيهم من هناك ففضح بمقالاته في الصحف الأوروبية والمصرية التواطؤ البريطاني مع المتمردين.

■ ليس الإنسان إلا ما تعوَّد لذلك تشتد حاجة الناشئين بأن يعتادوا على الإقدام والمبادرة والتفكير المستقل والإحساس بتنوع الخيارات والاقتناع بتعدُّد البدائل ولن يتحقق ذلك حتى يتعرَّفوا على نماذج باهرة ومتنوعة من المتميزين من ذوي النزعة الفردية الحازمة والمبادرات الحاسمة ممن يعتمدون على ذواتهم ويأخذون أنفسهم بالجد الصارم وبالاهتمام القوي المستغرق فيخترقون المألوف ويتجاوزون السائد وينجزون البديع ويأتون بالرائع وبذلك تتقدم الحضارة وتزدهر الحياة.

ولقد كان محمد أسد واحداً من أولئك المتميزين الباهرين فقد تجسَّدت فيه فروسية الفكر والفعل وقد اكتشف مبكراً في نفسه هذه الفروسية فترك الدراسة النظامية بعد الثانوية وتخلَّص من البرمجة وقاد نفسه في المعرفة والأداء يقتحم لجج الفكر والعلم والفن ويعالج أصعب القضايا برؤية فلسفية خارقة وبأسلوب جميل أخَّاذ وأتقن العديد من اللغات فقد أجاد الفرنسية والانجليزية واللاتينية واليونانية والبولندية والتركية والعبرية والعربية والفارسية والأوردو ولغات أخرى بالإضافة إلى اللغة الألمانية التي هي لغته الأم ومن الواضح أنه لم يكن يواجه صعوبة في تعلم اللغات فما يكاد يلتقي بقوم حتى يجيد لغتهم ليس فقط لغة التخاطب وإنما لغة الفكر والأدب وكان يجيد اللهجات بشكل مدهش فيكون حجازياً في الحجاز ومصرياً بمصر وشامياً في الشام ونجدياً في نجد وكان شجاعاً مغامراً يُقْدم على المخاطر دون تردُّد ويجوب الصحاري المهلكة ويجد لذة في مواجهة المآزق وقد تعرض مراراً لأخطار الموت ضياعاً وعطشاً وجوعاً ولكنه مع ذلك يكرر الفعل ويعيد ركوب المخاطر ويستمتع بها بمقدار الاستمتاع بالنجاة من التهكلة التي كادت مراراً تخطف روحه ولكنه رغم هذه الجرأة المتناهية عاش القرن العشرين بكامله تقريباً حيث وُلد عام ١٩٠٠م وامتدت حياته حتى عام ١٩٩٢م فتجسدت فيه مقولة مواطنه الفيلسوف الألماني نيتشة الذي يدعو الإنسان إلى أن يعيش دائماً على حافة الخطر والذي يقول ما لا يميتني يزيدني قوة.

كان في طفولته يحلم أن يكون قائداً عسكرياً ودفعته أحلام الجنرالية والشغف بالمجد العسكري إلى أن يهرب من مدرسته وأهله وهو في الرابعة عشرة من عمره وسمح له طوله الفارع أن يزوِّر عمره فادعى أنه قد بلغ الثامنة عشرة والتحق بالجيش النمساوي لكن أباه تتبَّع أثره واستعاده وما كان يبلغ هذا العمر وينهي المرحلة الثانوية حتى عاد مرة أخرى والتحق بالجيش، غير أن الثورة أطاحت بالامبراطورية النمساوية وأعلنت الجمهورية وانتهت الحرب فجرى تسريحه كغيره وكان مستريحاً لهذا التسريح لأن تطلعاته كانت قد تغيَّرت فقد أصبح طموحه بأن يكون من قادة الفكر لا من قادة الحرب فالثقافة الأوروبية كانت في حالة مراجعة شاملة وتمحيص دقيق كما كانت في حالة تبدُّل واسع وتغيُّر عميق فبعد الحرب فَقَدت القيم القديمة بريقها وبدأت قيم جديدة في التشكل، لقد أفاقت أوروبا على النتائج المروِّعة للحرب فظهر الكساد وعمَّت البطالة وتفاقم التضخم وهبطت قيمة العملات واضطربت الأحوال، لقد راحت السُّكرة وجاءت الفكرة ولكن أوروبا لا تصاب بالعمى حين ترتكب الأخطاء الكبرى وإنما تبادر إلى الاعتراف بالخطأ وتستخدم كل طاقاتها الفلسفية والنقدية والعقلية والمعرفية لتحديد مصدر الخلل وهذا هو سرُّ ازدهارها وهو سرُّ قدرتها على النمو المطرد والتجدُّد الدائم والخروج من المآزق، ولذلك ما أسرع ما استعادت أوروبا عافيتها بعد الحرب وراحت تعيد بناء ذاتها بطاقة أكبر ورؤية أنفذ وخبرة أنضج.

إن الأوروبيين بعد الحرب العالمية المروِّعة لم يلجأوا للمكابرة وتبادل الاتهام وتبرئة الذات وإلصاق التُّهم بالآخرين وإنما اعترفوا بالخطأ كما اعترفوا بأنه خطأ فظيع ومدمِّر وراحوا يحدِّدون مصادر الخلل من داخلهم وليس من خارجهم فلم يكابروا فيدَّعوا الكمال في أنفسهم والاكتفاء بما لديهم وإنما أيقنوا أنهم يعانون من خلل داخلي شنيع فالأخطاء الكبرى لا يمكن أن تأتي إلا من خلل ذاتي عميق فاشتد النقاش وحمي الجدل وتنوَّع الطرح حول الإنسان والتاريخ والثقافة والعلم والعقل والوعي واللاوعي والقيادة والانقياد والحضارة والسلطة والأمة ومعايير الحياة وقيم الوجود ومعنى الخير والشر وعن نسبية الحقيقة وضعف الإنسان وقابليته للتأرجح الشديد بين التألق والانطفاء وانجرافه الشائن بطوفان الأهواء وخضوعه الذليل لسَورة الغرائز واختطاف عقله بالشعارات الزائفة وبالثقافات السائدة وبتراكمات اللاوعي.

لقد كانت الحرب العالمية الأولى بمثابة عملية جراحية ضرورية حاسمة وكان لا بد من حدوثها لإزالة بقايا النظام القديم في أوروبا وتقويض حصون الجهل وتجفيف منابع التجهيل والتضليل فالحرب قد أسفرت عن انهيار ما تبقى من الامبراطوريات فانهارت الامبراطورية النمساوية والامبراطورية الألمانية والامبراطورية الروسية وتداعت كل صروح وأبنية النظام القديم وتهدَّمت تحصينات التخلف وكان هذا بمثابة التسوية الضرورية لتشييد الصروح الإنسانية الجديدة وتحولت أوروبا بكاملها إلى جمهوريات أو إلى دول دستورية حقيقية وتحقق بذلك تبدُّل نوعي في الحياة الأوروبية وبهذا التبدل تفجَّرت طاقات العقل وتنامت مهارات الفكر وتعاظمت إمكانات الابتكار ولكن كانت التجربة الديمقراطية بألمانيا ما زالت وليدة وفجأة فاستطاع النازيون عن طريق الشعارات الملتهبة أن يصلوا إلى الحكم وبذلك قادوا العالم إلى الحرب العالمية الثانية التي كانت أفظع وأشنع لكنها كانت كافية لاستئصال بقايا الثقافة القديمة وتهيئة أوروبا لحياة ديمقراطية مستقرة بل دفعتها إلى مسعى وحدوي حثيث فأحدثت الحرب العظمى لأوروبا عقلاً جديداً لم تعرفه البشرية من قبل وتحولت العداوات المزمنة بين الشعوب الأوروبية إلى موضوعات تاريخية شائنة ومخجلة وحلَّت محلها الدعوة إلى الاندماج الأوروبي والعمل على تحويل هذا الحلم العجيب إلى واقع مهيب!!..

ولم يكن ليوبولد فايس رغم صغر سنه متفرجاً على ذلك الاهتياج الثقافي وإنما عايشه بمنتهى الفاعلية وشارك بالنقاش الجاد والمجادلات الواعية حول هذه القضايا المعقدة والمصيرية وكان ذا عقل جياش وبصيرة نافذة فخرج من هذه التجربة المريرة عازماً على أن يجد طريقه بنفسه وأن لا يدع أحداً يعيد برمجته فقرأ المذاهب واطلع على الديانات وتعمَّق في اتجاهات الفكر وناقش كل ذلك بحرارة وعمق وانتهى من هذه الرحلة الفكرية الجياشة إلى اعتناق الإسلام والإيمان به والهجرة إليه والاندماج بأهله والعمل من أجل توحيد المسلمين، لكنه اكتشف فيما بعد أن داء الاختلاف بينهم مستفحل وأن أسباب التشرذم تضرب بجذورها في عمق التاريخ العربي والإسلامي وأن عوامل التخلف تُشكِّل مفاصل الثقافة السائدة وتحدِّد اتجاهها وتستنزف طاقتها فيئس من توحيد المسلمين وانصرف إلى التأليف والكتابة وإلقاء المحاضرات كما انشغل بترجمة نصوص الإسلام الأساسية إلى اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية وتأثر به الكثيرون ممن اعتنقوا الإسلام من أمثال السفير الألماني هوفمان.

إن محمد أسد نموذجٌ رائعٌ للإقدام في الفكر والفعل يصحُّ أن يحتذي به الشباب فحين جاء من أوروبا إلى الشرق كان شاباً في الثانية والعشرين من العمر وقد غامر وهو لا يحمل زاداً ولا يملك مالاً وليس له أي مصدر للرزق وكانت الصحف الأوروبية أثناء التضخم الشديد والكساد المريع عاجزة عن تمويل رحلات مراسليها ولكنه اعتاد أن يقذف بنفسه في أي اتجاه يَعُنُّ له دون أن يسأل نفسه: من أين يأكل ولا أين يبيت ولا كيف يتعامل مع متطلبات الحياة وهكذا صار يجوب بلاد الشرق بصحاريها الشاسعة الخطرة معتمداً على حدس خارق وقلب شجاع فبعد وصوله إلى فلسطين عام ١٩٢٢م وتجوُّله بها وتعرُّفه التام عليها كان به شوقٌ شديد بأن يرى سورية وخصوصاً دمشق وكان قد ضاع منه جواز سفره وكانت سورية تحت الانتداب الفرنسي وهو ينتمي إلى جنسية معادية مما حال بينه وبين استخدام وسائل المواصلات العامة فقرر السفر ماشياً وهو يعلم أنه يمكن أن تقبض عليه شرطة الحدود أو دوريات الأمن في أية لحظة سواء حين يمشي في العراء أو حين يكون في إحدى القرى أو البلديات أو المدن التي مرَّ بها ولكن ذلك كله لم يمنعه من أن يخاطر ليس من أجل هدف حتمي لا مناص له منه وإنما فقط من أجل أن يرى دمشق!! فقطع الصحاري الموحشة واجتاز الجبال الوعرة وتعرَّض للشمس الحارقة مشياً على قدميه دون زاد ولا مال وإنما اعتماداً على ضيافة الناس واستغرقت منه الرحلة من حيفا إلى دمشق أكثر من أسبوعين وتعرض بالإضافة إلى المخاطر للجوع والإجهاد والعطش حتى تورمت قدماه وتسلَّخت وكان في كل لحظة يتوقع أن تفاجئه دوريات التفتيش في كل زقاق وأن تظهر له خلف أي منعطف ومع ذلك استمتع برحلته كما لو كانت جيوبه ملأى بالمال ويبيت بأرقى الفنادق ويأكل بأفخم المطاعم وينام على أرق الأسرَّة وهكذا هو الإنسان تتألق قدراته وينجز الخوارق إذا توافرت لديه الرغبة الصادقة والاهتمام القوي المستغرق.

ولم تكن هذه المخاطر حالة استثنائية اضطر إليها وليس له عنها محيص ولا هو اندفاع متهور دون حساب العواقب وإنما كان مدفوعاً بحب عارم للمعركة لذلك لم يكن يريد قطع الصحاري بالسيارات حتى لو توافرت له لأنه يريد أن يعثر في كل صخرة ويتحسَّس كل نبتة ويقف فوق كل قمة وينحدر إلى كل واد ويتفحَّص كل كثيب ويتأمل الفراغ الصحراوي الرهيب.. فكانت جولاته الطويلة على بعير في صحاري المملكة أو حصان في صحاري إيران والأفغان مما جعله يتعرَّف بمنتهى الدقة على صحاري السعودية وفلسطين وسورية ومصر وليبيا والأردن وتركيا وإيران وأفغانستان وغيرها فلم يكن يستعجل الوصول إلى غاية محدَّدة وإنما كان يتفحص الأرض شبراً شبراً وكان يستمتع بذهول ودهشة وهو يرى نبتة صحراوية هامدة تدبُّ فيها الحياة الكامنة بتأثير ماء وضوئه الذي فاجأ به النبتة الظامئة في الصحراء القاحلة وهذا الولع بالصحراء هو الذي جعله يرفض تيسيرات الحضارة وربما هو الذي حبَّب إليه العرب وحسَّن عنده أخلاقهم، فحين جاء حاجاً إلى المملكة أواخر عام ١٩٢٦م جمعته صداقة قوية بالملك عبدالعزيز - رحمه الله - فأمضى ست سنوات يتجول على بعير في كل أنحاء المملكة المترامية فرفض استخدام السيارات ليس هذا فحسب بل وكان يؤثر التقشف الشديد فيستغني حتى عما يراه أهل نجد ضرورياً من الزاد والاستعداد وكان يقضي الأيام الطويلة يتأرجح فوق (الشداد) القاسي في القيظ الملتهب وفي إحدى جولاته الممتدة والشاقة والجريئة كادت تبتلعه رمال هذه الصحراء المعادية للحياة فقد راح يبحث عن ناقة شاردة فاندلعت عليه العواصف وتحركت الرمال وأظلم النهار وضاعت المعالم وظلَّ أياماً يدور في الفراغ الرهيب ولكن الله أنقذه بعد أن أثخنه الظمأ والجوع والهلع حيث سقط ينتظر الموت فإذا الإنقاذ يأتيه في أحلك لحظات اليأس وكان قبل ذلك قد مرَّ بتجارب مماثلة في الصحراء الإيرانية.. ففي ليلة ظلماء ومطيرة وعاصفة كادت تبتلعه وهو على جواده إحدى السبخات الرخوة السائخة لكن الله أراد له عمراً مديداً حتى أوشك أن يستغرق القرن العشرين بكامله وهو قرنٌ ليس ككل القرون فقد كان قرناً زاخراً بالأفكار والعلوم والإنجازات كما كان أيضاً مليئاً بالحروب والفواجع والتقلبات لذلك أحدث في الحياة الإنسانية تغيرات نوعية حاسمة.

وكان لا يتردد عن ركوب المخاطر كلما اقتضى الأمر فمن المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية أرسله السنوسي عام ١٩٣١م ليستطلع أوضاع المجاهدين في ليبيا ضد الاحتلال الايطالي بقيادة المجاهد عمر المختار فركب البحر واجتاز البر وعَبَرَ النيل وقَطَعَ الصحاري واخترق الأسلاك الشائكة التي أقامها الايطاليون على الحدود الليبية - المصرية واجتمع بالقائد العظيم وتباحث معه حول وضع المجاهدين وما يمكن امدادهم به، لقد كانت مهمة مغموسة بالخطر والمشقة واقتضت الكثير من التخفي والتمويه ولكنه كان مبتهجاً بأدائها وكان مهدداً كل لحظة بأن يقبض عليه الايطاليون القساة فقد اقتحم أرضاً لا تتخاطب مع الآخر إلا بالسلاح لقد تعرَّض هو ومن معه للقصف من الطائرات الايطالية وفي إحدى المرات أُصيب جملُ رفيقه بطلقة أزهقته فالأخطار لم تكن مجرد احتمال وإنما كانت أخطاراً حقيقية وقبل ذلك في عامي ١٩٢٣ و١٩٢٤م أمضى ثمانية عشر شهراً على ظهر حصان يجول في صحاري إيران وستة أشهر في صحاري أفغانستان وفي إحدى الليالي دخل هو ورفاقه في معركة حامية مع قُطَّاع الطرق من بادية البلوش.

وكان مستعداً دائماً للمهمات الخطيرة فحين انشقَّ فيصل الدويش ومن معه فيما عُرف بتمرد (الأخوان) على الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وأراد الملك معرفة مصادر التمويل التي تَحْشد الناس حولهم لم يتردد محمد أسد أن يخاطر عام ١٩٢٩م وأن يجتاز على بعير مناطق المنشقين ليصل إلى الكويت فيكتشف صناديق الذهب التي تأتيهم من هناك ففضح بمقالاته في الصحف الأوروبية والمصرية التواطؤ البريطاني مع المتمردين.

ومع أننا رأيناه يقتحم المخاطر أحياناً عن غير اضطرار إلا أنه يؤكد: «على الرغم من أن اقتحام المخاطر لم يكن جديداً عليَّ فإنني لم أسع إلى المخاطر لمجرد الإثارة وعندما كنت أقتحم المخاطر فإن ذلك كان دائماً استجابة لاحتياج ملح يرتبط بنمط حياتي كما اخترته، فهو يندفع جريئاً غير متردد التزاماً بمبدأ وأداء لواجب وانسياباً مع قناعة لقد واجه مخاطر شديدة ومشاق كثيرة في كل رحلاته تصلح دروساً للشباب ليُقبلوا على الحياة بشجاعة وإقدام ويصمدوا في المهمات بمثابرة وإصرار.

كانت حياته سلسلة من المبادرات الفردية الناجحة وكان دخوله الصحافة واحداً من هذه المبادرات الحاسمة فبعد الحرب العالمية الأولى ضربت الاتحاد السوفيتي مجاعة مروِّعة وكان العالم كله يُصغي باهتمام لنداءات واستغاثات الكاتب الروسي الشهير مكسيم جوركي، وقد جاءت زوجته إلى ألمانيا من أجل هذه المهمة ولكنها أخفت نفسها وسكنت بالفندق باسم مستعار خوفاً من مضايقات الصحفيين حتى لا يشغلوها عن مهمتها الإنسانية بالمقابلات الصحفية، لكن ليوبولد فايس اكتشف وجودها واستطاع أن يقنعها بالحديث إليه ففاجأ الجميع بلقائه المثير وقد انبهر القائمون على الصحيفة الألمانية بأدائه الرائع من أول تجربة صنعها لنفسه ولم يهيئها له أحد فكان ذلك هو تأهيله الحاسم للدخول إلى عالم الصحافة وكان وقتها في الحادية والعشرين من العمر، وقد وصَفَ هذه القفزة الظافرة في كتابه (الطريق إلى الإسلام) بقوله: «في الصباح التالي انفجرت القنبلة لقد أحرز عامل الهاتف (يعني نفسه) انتصاراً من الدرجة الأولى وبعد ظُهر اليوم عُقد مؤتمر صحفي للمحررين في مكتب (رئيس التحرير) الدكتور دامرت..» لقد فرض نفسه وأثبت كفاءته الصحفية من أول تجربة بل إن الفرصة ذاتها لم تكن متاحة له وإنما هو الذي هيأها لنفسه فلم يكن سوى عامل هاتف لا يملك حتى بطاقة صحفية ولكن الموهبة الزاخرة تخلق الفرصة النادرة وهكذا يضطر أهل المواهب السخية أن يخضعوا لمعايير التعامل مع العاديين حتى تتاح لأحدهم فرصة من الفرص النادرة للقفز فوق الحواجز.. أما أن يكشف الناس المواهب اكتشافاً مُبادراً وتلقائياً فإنه ليس من عادة البشر فصاحب الموهبة يعامل كشخص عادي وعديم الموهبة حتى يتمكَّن من تحقيق إنجاز غير عادي في ظروف غير عادية فيضطر الآخرون إلى الاعتراف بتميزه، إن قدرة اكتشاف المواهب نادرة في الناس كندرة التميُّز ذاته لذلك فإن المتميزين في كل العصور والمجتمعات كافة تخضع لتقويم العاديين من المعلمين والرؤساء وعامة الناس فلا يأتي الاعتراف بهم إلا متأخراً وربما أحياناً يأتي مصادفة وليس عن تمييز للتميُّز، وقد لا يأتي الاعتراف أبداً فيصاب المتميزون بالغبن وتُحرم المجتمعات والإنسانية من استثمار القدرات الإبداعية النادرة وسوف نواصل الحديث عن محمد أسد في حلقة ثالثة إن شاء الله.

للعصافير فضاء

رحيل العظماء

نجوى هاشم

■ تمطر السحابة عادة ثم تغيب بعد أن ترتوي الأرض بمائها، وتخضرّ الحياة. وحين يرحل العظماء، ترحل أجسادهم فقط، لكن أعمالهم، وعطاءاتهم تظل خالدة داخل ملفات التاريخ.

تحكي عراقة أمة، وتاريخ دولة، وقدرة على إدارة مفردات حياة آمنة، وهانئة لأجيال.

يرحل الكبار، وعند الرحيل يفتح الملف الاستثنائي لهم، من خلال بسطاء الناس، وعامة الشعب، يفتحون الأبواب لمشاعرهم، ودموعهم وأحزانهم عليهم، بعد أن شعروا بأنهم فقدوا العزيز، والحبيب، وأن الخسارة حجمها يتجاوز حدود أحاسيسهم.

كنت خارج المملكة، حينما استيقظت يوم الاثنين الماضي على خبر وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

ظللت لفترة مفزوعة، رغم إيماني المطلق بأن الموت حق. ورغم علمي كالآخرين بأنه كان يعاني منذ فترة، وتوقع وفاته رحمه الله بين الحين والآخر.

لكنني مررت بلحظة فاصلة من عدم التوازن والتصديق، لأن تخيل الصورة شيء، ومثولها أمامك شيء آخر.

شعرت بفراغ داخلي لا نشعر به، إلا عندما يفارقنا من نحب الأقرب، والأعز.

يا الله إلهذه الدرجة كان فهد بن عبدالعزيز يسكن جيلنا؟ ويلفنا، بوجوده، ويحمل عنا مسؤولية الأمان.

التفاف سواد الحزن بدا واضحاً على أغلب الملامح التي شاهدتها في ذلك اليوم في الفندق الذي أقيم به، بدا الصمت، والرغبة في اللاشيء، وحزن المكان متوحشاً، ومحفزاً على التقاط كل الصور التي تبثها القنوات الفضائية، والتي كسرت جزءاً من غربة المكان.

وأنا أتابع ما يعرض رغم معرفتي المسبقة له، بدت استعادته في كل المحطات ضرباً من الإحساس بالانبهار لعظمة خادم الحرمين فهد بن عبدالعزيز، ومنجزاته. بدت اعجاباً بدروس التاريخ الذي اعتاد أن يُسجل، ونحن غائبون ويستوعب، ويصدر أحكامه المطلقة من واقع بناء حقيقي، وسيرة عطرة فائضة العطاء، قادرة على الاقدام والانفتاح على الآخر، وتوظيف كل ما هو متاح من أجل خدمة الأمتين العربية والإسلامية.

لم يعرف نصف السعوديين غير الملك فهد لأنهم ولدوا في عهده فالشاب الذي ولد قبل ٢٣ عاماً درس واستكمل شهادته الجامعية في عهد فهد بن عبدالعزيز ولذلك كان الحزن كبيراً في أوساط الشباب وهم يشكلون نصف السعوديين.

لم يطلب من احد أن يلغي أفراحه، لكن صديقة لي في جدة، وأخرى في جازان تقول إن جميع الأفراح ألغيت بأحاسيس ذاتية وبحزن رفض المغادرة، واستوطن جميع المواطنين.

هذه الأحاسيس البريئة كشفت متانة النسيج الوطني، وتلاحم الشعب السعودي، وهو القادر على التمازج في الحزن والفرح.

لقد غاب فهد بن عبدالعزيز ملك الإنجاز.

وملك مبادرات التضامن العربي والإسلامي والذي حرص على دعم الأمة وإنقاذها في كثير من الأحيان بالقرارات الصعبة التي لا يمكن أن يتخذها إلا قائد بقامة فهد بن عبدالعزيز، وبمكانته.

غاب فهد بن عبدالعزيز الملك الشجاع، القوي، الذي سعى باستمرار إلى التحديث الداخلي، وبناء الإنسان وتأهيله لأن اساس التنمية من خلال البعثات التي فتح أبوابها للشباب بعشرات الآلاف، وهم الآن يقودون مسيرة التنمية، ويفتحون أبواب المملكة للعالم.

غاب فهد بن عبدالعزيز الذي فتح نوافذ الحياة الآمنة للبنانيين مرة أخرى من خلال سعيه الدؤوب لمؤتمر الطائف الذي أعاد لبنان لأهله وللعرب بعد أن دمرت الحرب اللبنانية الحياة والإنسان هناك.

غاب فهد بن عبدالعزيز الذي حرص على تعليم المرأة ووضعها على طريق المشاركة الفاعلة في البناء.

غاب رجل القفزات الاقتصادية الهائلة الذي جعل من المملكة كياناً اقتصادياً عملاقاً بين دول العالم.

غاب من حرص على توحيد الصفوف العربية وأوجعته صدمات الأمة وهزائمها ومحنها.

غاب البارع في حديثه، وتلقائيته، وخطبه الارتجالية وجاذبيته المتألقة، وذكائه الحاد، وإطلالته المهيبة.

غاب رمز الاعتدال والوسطية، وعاشق بناء المستقبل.

يوم الوفاة كان أحد العلماء يتحدث في إحدى المحطات بانجذاب شديد وفخر وإعجاب عن توسعة الحرمين الشريفين وكيف كان يأتي إلى الحج والعمرة منذ ثلاثين عاماً، وكيف أصبحت الآن، وأسهب في الثناء على خادم الحرمين رحمه الله وعلى روعة التوسعة، وعظمة الإنجاز الذي ساعد المعتمرين على أداء شعائرهم بيسر وسهولة، واعتبر أن خادم الحرمين لو لم ينجز في حياته سوى التوسعة لكان كافياً له ليخلده التاريخ.

توقفت أمام كلماته والمذيعة ترتدي السواد حزناً، ورغم متابعتي وتلمسي لمشروع التوسعة إلا أنني أعدت استيعاب ذلك الإنجاز العملاق.

وحدهم العظماء من يشكلون من ألوان الحلم والتخيل حقيقة، ويحاولون رسم الحياة كما نريد تصورها.

غاب الملك فهد بن عبدالعزيز بجسده لكن التاريخ لن ينسى العظماء كعادته غاب الفارس ومصير الفرسان أن يترجلوا ذات يوم.

غاب فهد بن عبدالعزيز لكن الامتيازات التاريخية التي منحها لأمته لن تغيب، من ملامح حياة آمنة، وتمسك بالثوابت، وحرص على فتح أبواب الحياة للمستقبل.

غاب فهد بن عبدالعزيز صانع الإنجازات، لكنه سيظل حاضراً في ذاكرة التاريخ، وأفئدة الناس يحصد وهو الغالب امتيازات الزمن الذي صنعه بمعيار البقاء.

بسم الله الرحمن الرحيم وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون صدق الله العظيم

يتقدم

آل عويد من المراشدة من قبيلة عُتيبة

بخالص العزاء وصادق المواساة

إلى مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

وولي عهده صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

وللأسرة المالكة وللأمتين العربية والإسلامية

في وفاة قائد الأمة الإسلامية

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود

(رحمه الله)

سائلين الله العلي القدير أن يسكنه فسيح جناته

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

ينوب عنهم

عيد بن غزاي بن عويد المرشدي العتيبي

تركي بن عمر بن عويد المرشدي العتيبي